

فهذه الآية تدل على طبيعة الإنسان الذي يلجأ إلى الله ، يدعو ويتضرع إليه عند نزول الضر والشدة به ، ثم سرعان ما ينسى ربه ، ولا يذكر إلا نفسه ، عندما تنكشف الغمة ، وتحل النعمة ، فهو لا يعترف بفضل ربه ، بل بقدرة ذاته ، ويقول ما قال قارون من قبل : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَيَّ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ! (١) . إنها فتنة حقاً ، واختبار صعب للإنسان ، ولكن أكثرهم لا يعلمون حقيقة هذا الاختبار ولا أهميته ، ولذلك يرسبون فيه ويسقطون !

وفي سورة غافر نقراً قوله تبارك وتعالى : ﴿ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) . وذلك لأن الناس - كما يقول البقاعي - شعبة يسيرة من خلقهما . فعلم أن الذي قدر على ابتدائه (أى الكون) على عظمه ، قادر على إعادة الناس على حقارتهم ، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهم الذين ينكرون البعث وغيره ، أى لا علم لهم أصلاً ، بل هم كالبهائم لغلبة الغفلة عليهم ، واتباعهم أهواءهم ، فهم لا يستدلون بذلك على القدرة على البعث ، كما أن البهائم ترى الظاهر فلا تدرك به الباطن ، بل هم أنزل رتبة من البهائم ؛ لأن هذا النحو من العلم فى غاية الظهور ، فهو كالمحسوس ، فمن توقف فيه كان جماداً ! (٣) .

وفي سورة الدخان نقراً قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِيِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) . بين الله فى هاتين الآيتين : أنه لم يخلق هذا الكون - علويه وسفليه - باطلاً ولا لعباً ولا عبثاً ، كما يظن الذين كفروا أن هذا الكون بُنى وسيهدم لغير حكمة ولا هدف ، فإنما هى أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، ولا شىء وراء ذلك ، وهذا ما ردّه القرآن واعتبره باطلاً ولعباً : أن تُطوى صفحة هذا الوجود ، وقد استوى المؤمنون والكفار ، والمتقون والفجار ، يقول تعالى :

(٢) غافر : ٥٧
(٤) الدخان : ٣٨ ، ٣٩

(١) القصص : ٧٨
(٣) نظم الدرر : ٩٤ / ١٧